

ميدل إيست آي: يحيى السنوار مات وهو يقاتل إسرائيل... وموته لن يهزم حماس

الاثنين 21 أكتوبر 2024 11:06 م

ربما لم تكن الصور المبكرة التي تم نشرها على وسائل التواصل الاجتماعي لزعيم حماس يحيى السنوار ملقى ميتًا داخل ما يبدو أنه منزل مدمر جزئيًا في غزة هي ما أراد القادة الإسرائيليون أن يراه العالم. وقد قيل إن الجنود الذين عثروا على الجثة واشتبهاوا في أنها للسنوار سارعوا بتصويره وأرسلوا الصور إلى بعض المعارف الذين نشروها بدورهم ليشاهدوا العالم. كان رؤساؤهم في أذهانهم رواية مختلفة حول كيفية وفاة الرجل. كانوا يفضلون رسم صورة لزعيم حماس مختبئًا في نفق باستخدام الرهائن الإسرائيليين كدروع بشرية. والحقيقة أن زعيم حماس الأعلى فقد حياته وهو يقاتل أعدائه. ليس هذا فقط. تُظهر الصور جرحًا برصاصة في رأسه. لم يكن يحاول الهروب، كما أراد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن يصدق العالم، بل مات في مواجهة مع الجنود الإسرائيليين الواقفين وجهًا لوجه. من المنظور الفلسطيني، يُعتبر هذا أنبل وأشرف من بين الوفيات.

زعيم بلا منازع

ولد يحيى السنوار، أو أبو إبراهيم كما يُعرف في دوائر حماس، في مخيم خان يونس للاجئين في قطاع غزة في أكتوبر 1962 لعائلة من اللاجئين المنحدرين من مدينة المجدل الفلسطينية. في عام 1948، احتلت العصابات الصهيونية القرية أثناء النكبة الفلسطينية (إنشاء دولة إسرائيل) وأطلقوا عليها اسم عسقلان. مثل آلاف عديدة من سكان المناطق الواقعة شمال غزة، والتي أصبحت بين عشية وضحاها "دولة إسرائيل"، فرت عائلة السنوار جنوبًا إلى ما اعتقدوا في ذلك الوقت أنه سيكون ملجأ مؤقتًا.

كان جميع هؤلاء اللاجئين مقتنعين بأنه في غضون أيام سيعودون إلى ديارهم بمجرد أن تتمكن قوات من الدول العربية المجاورة، كما وعدت، من القدوم لمساعدتهم، وتأمين مدنها وقراهم وردع العصابات اليهودية التي كانت ترتكب المجازر لطرد السكان الفلسطينيين. لكن هذا لم يحدث. ذهب السنوار إلى المدرسة في غزة ودرس الأدب العربي في الجامعة الإسلامية. كان طالبًا نشطًا في المدرسة الثانوية وفي الجامعة حيث انضم إلى فرع الإخوان المسلمين في فلسطين. اعتقله الإسرائيليون لأول مرة في سن العشرين عام 1982 لمدة 10 أشهر ومرة أخرى في عام 1985 لمدة ثمانية أشهر.

عندما ولدت حماس عام 1987، ظهر السنوار كواحد من عملائها البارزين وكلفه مؤسس حماس الشيخ أحمد ياسين بمهمة إنشاء جهاز أمني يُعرف باسم المجد. وكان أحد الأهداف هو اكتشاف وملاحقة ومعاينة المتعاونين الذين أبلغوا قوات الاحتلال الإسرائيلي عن النشاط الفلسطيني داخل القطاع.

وبعد فترة وجيزة، تم اعتقاله في عام 1988 وحكم عليه بالسجن أربع سنوات مدى الحياة بتهمة اختطاف وقتل جنديين إسرائيليين وقتل أربعة فلسطينيين مشتبه بهم في التعاون مع إسرائيل.

بقي في الاعتقال الإسرائيلي لمدة 23 عامًا، تعلم خلالها العبرية وترجم أو كتب عدة كتب. كما لعب دورًا بارزًا في إدارة شؤون معتقلي حماس وتنسيق العلاقات وتسوية النزاعات مع المعتقلين من الفصائل الأخرى.

في عام 2011، كان واحدًا من أكثر من ألف معتقل فلسطيني تم إطلاق سراحهم مقابل جندي إسرائيلي واحد يُدعى جلعاد شاليط. بعد تحريره، شغل السنوار مناصب عليا داخل الحركة.

بعد عام واحد فقط من إطلاق سراحه من الاعتقال، انتُخب في عام 2012 عضوًا في المكتب السياسي لحماس ولعب دورًا قياديًا في إدارة الجناح العسكري للحركة، كنائب عز الدين القسام.

اكتسب السنوار شهرة أكبر في عام 2021 عندما انتُخب رئيسًا لمنظمة حماس المحلية في غزة. كان هذا هو العام الذي أشعلت فيه التوترات في القدس بسبب محاولات المستوطنين اليهود المتكررة لاقتحام المسجد الأقصى والقيود الإسرائيلية المفروضة على المصلين الفلسطينيين، حربًا أخرى في غزة استمرت لمدة 11 يومًا.

كان هذا هو الهجوم الإسرائيلي الرابع الكبير على غزة في 14 عامًا. كان هناك الكثير من الدمار ومئات الضحايا. ومع ذلك، أثبتت الحرب أن السنوار هو الزعيم بلا منازع للقطاع.

وفقًا لتقرير حديث لصحيفة نيويورك تايمز يستشهد بوثائق حماس، والتي يُزعم أن الإسرائيليين عثروا عليها في جهاز كمبيوتر محمول في غزة، بدأ السنوار ودائرة قريبة جدًا من عدد قليل من رفاقه في الاستعداد لهجوم كبير ضد إسرائيل في وقت مبكر من عام 2021. بعد اغتيال إسرائيل لإسماعيل هنية في طهران في 31 يوليو 2024، وبعد مداوات مطولة وتكهنات كثيرة، عين مجلس شوري حماس السنوار خليفة لهنية كزعيم سياسي جديد للحركة في 5 أغسطس.

حركة صامدة

وفقًا للعرف، فإن هذا المنصب عادة ما يشغله شخصية حماس في الشتات بسبب المهام السياسية والدبلوماسية التي يستلزمها المنصب والتي تتطلب حرية الحركة.

كان الكثيرون يعتقدون أن خالد مشعل هو المرشح المحتمل. ومع ذلك، رفض مشعل قبول الترشيح وأصر على أن غزة، التي كانت تقاوم العدوان الإسرائيلي، يجب أن يكون لها وحدها الحق في قيادة الحركة خلال هذه الفترة الحرجة في تاريخ الحركة.

على الرغم من أن مقتل السنوار سيُطر إليه على أنه ضربة كبيرة أخرى لحماس، فمن غير المرجح أن يؤثر على استراتيجيتها طويلة الأجل.

نجحت إسرائيل مرات عديدة من قبل في قطع رأس الحركة تقريبًا. ومع ذلك، لم تتمكن من إضعاف عزيمتها، ناهيك عن سحقها.

قائمة كبار القادة الذين تم القضاء عليهم منذ ظهور حماس على الساحة الفلسطينية في أواخر الثمانينيات طويلة جدًا. وتضم الحركة مؤسسها الشيخ أحمد ياسين في 21 مارس 2004، وخليفته عبد العزيز الرنتيسي في 17 أبريل 2004.

وأغتيل زعيم الجناح العسكري لحماس، كائب عز الدين القسام، أحمد الجعبري في 14 نوفمبر 2012. ومؤخراً اغتال الإسرائيليون نائب زعيم حماس صالح العاروري في 2 يناير 2024 والزعيم السياسي للحركة إسماعيل هنية في 31 يوليو.

مرونة الحركة تنبع من عاملين. أولاً، تقف حماس من أجل فكرة، والفكرة هي أن الفلسطينيين كان لديهم ذات يوم وطن تم انتزاعه منهم لإفساح المجال لإنشاء وطن يهودي أعثبر قبل قرن من الزمان الحل الأمثل لمشكلة اليهود في أوروبا.

كان الفلسطينيون يكافحون من أجل العودة إلى ديارهم لأكثر من ثلاثة أرباع القرن.

لم يكن ظهور حماس نتيجة للانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت قبل يوم واحد من ميلاد الحركة فحسب، بل كان أيضًا نتيجة لقرار قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات بالتخلي عن المقاومة لصالح صفقة سلام مع إسرائيل. وقد ثبت أن هذا كان فشلًا ذريعًا، لا يقل عن استسلام.

مع مرور الوقت، تم تبرئة حماس، وفقدت منظمة التحرير الفلسطينية مكانتها التمثيلية للقضية في أذهان معظم الفلسطينيين. لقد حولت اتفاقيات أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل الأولى إلى وكالة أمنية متعاونة تعمل لصالح الأخيرة.

منذ عام 1993، شهد الفلسطينيون مصادرة المزيد من أراضيهم، وهدم المزيد من منازلهم، وقتل المزيد من أبنائهم وبناتهم أو تشويههم أو اعتقالهم على يد الإسرائيليين.

لم تر الدولة الفلسطينية الموعودة النور قط، وتحول حل الدولتين إلى سراب، حيث استولت المستوطنات اليهودية على الكثير من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس الشرقية.

العامل الثاني هو أن حماس حركة مؤسسية ذات قيادة منتخبة. فهي لا تمارس عبادة الشخصية، ويتم استبدال القادة الذين يموتون على الفور وبسلاسة.

يبقى أن نرى من هو المرجح أن يخلف السنوار. ربما من المرجح هذه المرة أن يكون شخصًا من الشتات.

ومن الممكن أن تقرر الحركة العيش في الوقت الحالي مع نائب زعيم حتى إجراء الانتخابات. ولكن من غير المرجح أن تُعقد الانتخابات قبل انتهاء الحرب، وهذا أمر يصعب التنبؤ به عندما يبدو أن لهيب الصراع يمتد إلى ما هو أبعد من فلسطين ليلتلع المنطقة بأكملها.

لا نهاية تلوح في الأفق

أخيرًا، وعلى الرغم من الخسارة، كانت الشهادة دائمًا أداة تجنيد قوية. ففي الثقافة الفلسطينية - كما هو الحال في الثقافة الإسلامية - فإن الشهادة ليست خسارة بل مكسب.

سيحتفل كثيرون بالسنوار، مثله كممثل كل أسلافه الذين اغتالهم إسرائيل، باعتباره شهيدًا عظيمًا قضى نحبه في قتال الغزاة.

من المتوقع أن تكون هناك تكهنات حول ما إذا كان مقتل السنوار سيمهد الطريق لإنهاء الحرب قريبًا.

يمكن أن تنتهي الحرب إذا وافقت إسرائيل على شروط وقف إطلاق النار الذي قبلته حماس بالفعل واقترحه الرئيس الأمريكي بايدن في الأصل.

ومع ذلك، إذا أصر نتنياهو على تدمير حماس وتحرير الرهائن دون تقديم أي شيء في المقابل، فمن غير المرجح للغاية أن نرى نهاية للقتال في أي وقت قريب.

هناك بالطبع خطر أن يؤدي إبعاد السنوار عن المشهد إلى تشجيع نتنياهو أكثر، وخاصة في سياق الانتخابات الأمريكية المقبلة، والتي كان ينتظرها بفارغ الصبر.

من المرجح أن تصبح الحرب أوسع وأكثر كثافة إذا تعرضت إيران لضربة انتقامية لهجومها الأخير. كل هذا يتوقف على ما من المرجح أن تستهدفه إسرائيل داخل إيران.

أما بالنسبة للصراع، حتى لو انتهت هذه الحرب، فمن غير المرجح أبدًا أن تظل المنطقة هادئة طالما ظل الفلسطينيون محرومين من حقوقهم الأساسية وطالما استمر الاحتلال الإسرائيلي.

<https://www.middleeasteye.net/opinion/gaza-war-yahya-sinwar-death-fighting-israel-will-not-defeat-hamas-why>